Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفروق الدقيقة بين الجمل، وفي تأويلها تأويلاً سليماً يعصم من الخطأ. ومع ذلك فإن ما استثمر من قوانين رياضية ومنطقية اقتصر على الجمل، فهي، إذن، قوانين جملية وليست قوانين نصية.

على أن ابن البناء لم يكن يهدف إلى فهم الجمل المستقلة وتأويلها فقط، ولكنه كان يهدف إلى فهم أي نص وتأويله مهما كان نوعه؛ يقول: «وبهذا الذي ذكرناه في هذا الكتاب يعرف التفاضل في البلاغة والفصاحة. وهو قدر كاف في فهم ذلك في كتاب الله وسنة نبيه وفي المخاطبات كلها»[38]، بيد أنه يمكن الاعتراض على هذا القول بكون ابن البناء لم يكن يأتي إلا بأمثلة جزئية مأخوذة من مواطن متفرقة من القرآن الكريم ومن أشعار العرب. وعليه، فإنه لا يمكن الاقتناع بأن ما ذكره «من أصول صناعة البديع ومن أساليبها البلاغية ووجوه التفريع» يصلح أدوات لفهم كتاب الله وكتابة البشر وخطبها. إن هذا الاعتراض يمكن أن يدفع ـ إلى حد ما ـ بكون ابن البناء حلل ـ أحياناً ـ آيات طويلة وقدم أصولاً ومصطلحات إذا ما اعتبرت كلاً متماسكاً لا مصطلحات مبعثرة لا رابط بينها، وإذا ما حددت تحديداً جديداً ووقع الاستغناء عن الفضل والزيادة فيها فإنها قد تصبح أدوات فعالة للوصف والفهم والتأويل.

4ـ راهنية ابن البناء:

إن إعادة القراءة هذه هي التي تنقص البلاغيين العرب المعاصرين الذين ينحون نحواً بلاغياً تقليدياً، فهم لا يزالون يجترون المصطلحات والتقسيمات نفسها، وإن إعادة القراءة تلك، هي التي يفتقدها البلاغيون العرب الذي ينحون نحواً بلاغياً معاصراً. فهم يرددون التقسيمات البلاغية الأوروبية المعاصرة خالصة أو مشوبة بمصطلحات عربية. ولن نبالغ إذا قلنا: إن البلاغة الأوروبية المعاصرة تطوير للتراث البلاغي والشعري والمنطقي الموروث من اليونان والرومان والعرب، ولما دار حول هذا التراث من شروح وهوامش[39]. وإذا ما صح هذا، فإنه يمكن ـ بإعادة القراءة ـ تطوير التراث البلاغي والشعري المنطقي الإنساني وصياغة نظريات لعرب معاصرين تلتقي مع نظريات البلاغة الأجنبية المعاصرة وتختلف معها. وإذا ما تحقق هذا، فلن تكون هناك تبعية ثقافية في هذا المجال، وإنما يكون هناك تفاعل.

لنقيم الحجة والبرهان على ما نقول نذكر بعض المفاهيم البلاغية المعاصرة

(38) الروض المريع، ص 174.

(39) سيأتي توضيح هذا في الفصل الخاص بالسجلماسي، وفي الخلاصة العامة.